

اساليب القرآن

من الأسلوب ما شارك القرآن فيه كلام العرب , ومنه ما هو كالمختص بالقرآن من حيث أنه كلام جاء به النبي وأنزل عليه والى الناس , وفهمه مبنى على صحة الفطرة , فهو بيّن عند المتقين ومستور على الكافرين . وهذا مما لم نطلع عليه فى كتب القوم , والحاجة الى العلم به شديدة , والأصل فى هذا الباب : - معرفة صفات الله - ومعرفة صفات النبي - ونسبة النبي الى ربه وأمته - ومعرفة تدبيره فى الخطاب ودعوة الناس .

اختلاف الأساليب

كما أن الكلمة لها معنى حقيقى وضعت له , ومعنى مجازى ربما يكثر , فكذلك الأساليب منها حقيقى , و منها مجازى تكثر الدلالات به فلا بد لكلام جم الدلالة من استعمال الأساليب المختلفة .
مثلا قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة 098)

دل على أن عداوة الملائكة من عداوة الله , وعلى أن عداوة الملائكة كفر , وعلى أن جبريل و ميكال من الملائكة و الرسل , و على أن جبريل و ميكال من كبار الملائكة و الرسل و على أن اليهود كانوا أعداء لجبريل و ميكال , وعلى أنهم عدو لله . و كل ذلك مفهوم من نظم الكلام .

القران والوصل

القران أعم من العطف , و نذكر العطف في فصل مستقل , فالقران مجيء كلمتين أو قولين متصلين , سواء كان بالعطف أو غير العطف , وفيه دلائل على معان , فنذكر منها ما ظهر لنا منها.

فمنها , اشترك القرينين في معنى كلي كما قال تعالى :

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ (الرحمن 005-006)

فبوضع الجملتين متصلتين دل على كونهما مسخرة ومعبدة . أى الشمس والقمر تجريان على قدر معلوم و في ذلك دلالة على كونهما تحت حاكم سخرهما , فهما في عبوديته و يسجدان لعرش ملكوته , وهما أبين آياته من عالم الجمادات , ثم ذكر عالم النبات , و بما ذكر سجود هذا العالم نبه أن كلا العالمين كالحيوان الساجد لله تعالى . كما صرح به القرآن :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ

وَمَن يٰۤهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِّن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحج 018)

و منها : كون أحد القرينين للآخر توضيحا و تأكيدا . كقوله

تعالى : (عزيز مقتدر) أو (العزيز الجبار) أو (عزيز ذوانتقام) .

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

276. Allâh will destroy Ribâ (usury) and will give increase for Sadaqât (deeds of charity, alms, etc.) and Allâh likes not the disbelievers, sinners. (2: 276)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

255. Allâh! Lâ ilâha illa Huwa (none has the Right to be worshipped but He), the ever living, the one who sustains and protects All that exists. neither slumber, nor sleep overtake Him. to Him belongs whatever is In the heavens and whatever is on earth. who is He that can intercede with Him except with his Permission? He knows what happens to them (his creatures) In This world, and what will happen to them In the Hereafter . and they will never compass anything of his knowledge except that which He wills. his Kursî extends over the heavens and the earth, and He feels no fatigue In guarding and preserving them. and He is the Most High, the Most Great. [This Verse 2:255 is called Ayat-ul-Kursî.] (2: 255)

و منها : كشف أمرين متقابلين كقوله تعالى : (العزیز الغفار) و (العزیز الرحيم) و (العزیز الحكيم) و (العزیز العليم) .

و فى قران الصفات المختلفة بصفة خاصة كالغفار و الرحيم و الحكيم و العليم بالعزیز , يتبين لنا أن هذه الصفات المختلفة تحت أمر كلى . فان الحكمة و العلم و الرحمة تحت أمر كلى . وههنا غور عميق يدلك على وحدانية الصفات , فان الحكمة من العلم , والعلم من القدرة , والحكمة من الرحمة والعزة من القدرة . وكما أن الصفات المختلفة حسب الظاهر داخلة تحت معنى عام , فكذلك الصفات كلها تدخل تحت معنى الذات .

الخطاب و الالتفات

تنوع الخطاب

ان معرفة هذا من المهمات , وقد اختلف العلماء كثيرا فى تعيين المخاطب والمخاطب , فلا بد من أصول يرجع اليها . وقبل ذكر الأصول نقدم أمثلة تبين ما نحن بصدده .

اذا جاء الخطاب الى واحد و ليست هناك قرينة ظاهرة , تبادر الى عامة المفسرين ان المراد به النبى عليه السلام و هذا يوردهم على خطأ عظيم . و حقيقة الأمر أن الخطاب :

1 - ربما يوجه الى النبى من حيث كونه امامهم و لسانهم و انما المراد به الناس , اما عامتهم أو طائفة منهم , فالخطاب فى الحقيقة الى الناس .

2 - وربما يوجه الى الناس مستقلا .

فاما الأول فيظهر بالأمثلة : فمنها قوله تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴿١٢﴾

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (الأنعام 066-067)

فهنا المخاطب الواحد هو النبي , ثم بعد ذلك جاء بالمخاطب الواحد و المراد منه الأمة فقال :
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ
وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنعام
068)

أى انما عليكم أن تذكروهم بآيات الله , فاذا خاضوا فأعرضوا عنهم , فالزمهم أمرين , التذكير و
الاعراض و بين ذلك بقوله :

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام 069)

أى ليس على المؤمنين من حساب الظالمين غير الذكرى , فلا يحاسبهم الله تعالى بكفر قومهم بعد
الذكرى , فان تركوهم بعد ذلك فهم بريون من سوء أعمالهم . و القرآن دل على هذا المراد , فقال
فى سورة النساء :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء 140)

فهذه الآية تشير الى ما ذكرنا من سورة الأنعام , فان كتاب الله لم ينزل فيه شىء فى هذا الأمر ,
غير ما جاء فى سورة الأنعام . حتى أن المفسرين زعموا ان تلك الآية قد نسخت بهذه الآية . كما
ذكر ابن جرير رحمه الله و لكن لا نسخ , فان هذه الآية انما تمنعهم عن القعود معهم اذا سمعوا
استهزاءهم حتى يخوضوا فى حديث غيره و بمثل ذلك أمرهم فى سورة الأنعام .
و منها قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۗ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٣) وَلَا
تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا

تُنصَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ
السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾

(هود 112-114)

فقوله (وَلَا تَطْغَوْا) خوطب به الناس و الأمة فى حقيقة الأمر بواسطة النبى صلى الله عليه و سلم.

و أما الثانى وهو أن الخطاب يكون الى الواحد وهو متوجه الى الناس من غير واسطة النبى , وربما يجىء ذلك بعد الخطاب بالنبى أو قبل خطابه على طريق الالتفات , فحينئذ يشتد الالتباس على الذين لا يتأملون ولا يطلبون ما كان أحسن تأويلا , ويفرون عن انتشار الضمائر ولكن ذلك هو الالتفات , فلا بأس باختلاف المرجع .
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

(الإسراء 023-024)

و فى هذا السياق آيات فيها جمع بين خطابين , فمرة بصيغة الواحد و أخرى بصيغة الجمع والمراد منها العموم . وهذا مما لاتخفى على من له ادنى المعرفة , فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن والداه حيين حتى يخاطب بالاحسان . ولكن من الآيات ما ليس فيها دليل قاطع على مراد العموم غير الفهم الذى يأتى من الاطلاع على أساليب الكلام ومعرفة حسن التأويل .
ومنها قوله تعالى :

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَعْتَنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (سورة النساء: 4 : 88)

فقوله تعالى : (فلن تجد له) خطاب عام .

وكذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ ﴿

(سورة البقرة 104 - 108) فقوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ) خطاب عام .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ ﴿٧﴾ (الحاقة 007) خطاب عام . اي لو كنت هناك أيها المخاطب لرأيت .

و من تنوع الخطاب الالتفات

كأن القرآن قام خطيبا سماويا , يخاطب أهل الأرض كافة , فليلتفت يمينا و شمالا
ويخاطب هذا وذاك , وهذا كثير في القرآن . فقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ۚ (ثم التفت الى الناس و قال :)
فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ (ثم التفت الى النبي و قال :)
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النحل
043-044)

ومن هذا قوله تعالى في سورة يونس :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ
﴿ (يونس 094) فان الكتاب أنزل الى الأمة كما أنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم , كما جاء
في سورة الأعراف : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف 003)

و ليس أن الله تعالى يخاطب النبي خاصا ويخاطب الناس على لسانه , فان وجه الكلام لا يحتمل
هذا في كثير من الآيات . مثلا في سورة العقود قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا
عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المائدة 015)
فليس لك أن تقول ههنا حذف كأنه قيل : قل يا أيها النبي لهم : يا أهل الكتاب - - - فان الخطاب
اليهم أبلغ . و اذا كان المقصود ان يقول لهم النبي , صرح بذلك و ذكر كلمة "قل" أو كلمة "اتل" .
فلا حاجة الى الحذف والصرف عن الظاهر .

وجملة الكلام ان القرآن يخاطب النبي عليه السلام والناس بلا واسطة وهذا كثير . انظر في سورة
المزمل خاطب الله تعالى أولا نبيه ثم قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا
أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (المزمل 015) و هذا خطاب عام للناس . وكذلك انظر
كيف جاء في القرآن من تصريح الخطاب بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا) و (يا أيها الناس

(ومن مثل التصريح ما جاء من صيغة الجمع مثل قوله تعالى : ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ

رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾ (الأعراف 003)

فهذا مما يتعلق بالذى يخاطب اليه , واما الذى يصدر منه الخطاب , فمعرفة ايضا مهم جدا . فان القرآن مع كونه باجمعه وحيا من الله , ليس كله على لسانه تعالى . فان من القرآن ما هو دعاء علمه الله تعالى عباده كسورة الفاتحة , ومنه حكايات لأقوال المخلوق من مومن و كافر و ملك و انسان , فان جاء التصريح فلا خفاء , ولكن ربما لم يجئ التصريح فيفهم من موقع الكلام و حسن التأويل , ومن ذلك ما يقتضى تأملا , فيلتبس على من يغفل .

فوائد الالتفات

(١) اعلم ان الالتفات فى القرآن كثير جدا وهكذا فى كلام العرب , و من فائدته العامة انتباه السامع , فان الانسان من غفلته و تلبده يرى أمورا كثيرة و لا يلتفت الى ما هو متصل به , و انما يلتفت الى ما يلتفت اليه لغرضه و حاجته و ذلك يرسخ فيه و بصير عاداته , فاكثر الالتفات يزيل جموده و يعده للنظر و الفكر , فان الفكر و النظر ليس الانوعا من الالتفات , ثم بعد ذلك له دلالات على أمور سنذكر بعضها :

فمنها : **احضار البعيد** , ليجعله أوقع فى القلب اذا خاطب بعد صيغة الغائب مثلا قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا

وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِّيًّا ﴿٧٢﴾ (مريم 071-072) فان هذا ذكر الانسان و هم المنكرون كما قال قبل ذلك :

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿١١﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا

خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ (اى هولاء المنكرين)

وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِّيًّا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ

أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٦﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٦٧﴾ وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٦٨﴾ (مريم 066-071)

و بعد هذه الآيات قال تعالى :

﴿ يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ ﴾

(مريم 085-086) فاختلفوا في تأويل الوارد , فقال فريق هذا عام و قال فريق هو خاص بالمجرمين , و ليس هذا موضع البحث عنه .

و منها : **شدة الخطاب** , و لا يدل ذلك على أن المخاطب يسمع ذلك , و لا يخاطب الا لاطهار الشدة كما في قوله تعالى :

﴿ ءَأَلْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (يونس 091)

و منها : **صرف التوجه عن السامع تصغيرا له و اعراضا عنه .**

و منها : **صرف الخطاب الشديد الى أكبرهم** , ليصير أشد تأكيدا و من ذلك كلما خاطب به النبي صلى الله عليه و سلم فيما يتوقع منه و ربما أدخله في السامعين لهذا الغرض .

و منها : **التعريض بمن يتوقع منه الانكار أو الكراهية** , و من ذلك ما جاء في أول سورة البقرة , فلم يخاطب اليهود في ذكر نفاقهم و لا الكفار المصريين في اصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق - - -

(2) و من الالتفات , التفات من مخاطب الى مخاطب و لذلك فوائد :

فربما يبتدئ الكلام بالغائب في المدح , تمهيدا لرفعة منزلة المخاطب , ثم يخاطب كما ترى في سورة الفاتحة , فاذا اشتمل الكلام على الدعاء يوتى بالدعاء بعد المدح غائبا ثم حاضرا . المدح بالغيبة أكثر تعظيما , و اخلاصا , و استحياءا من المتكلم و السامع و وصلا بالتمهيد الذي ليس بمدح كما ترى في قصيدة كعب المذكورة و في قصيدة الأعشى فالرجوع من الغائب إلى الخطاب كما ترى في سورة الفاتحة هي من جهة تنوع المعنى . فإن صفات الكمال ثابتة بنفسها و الخطاب بالحمد يشتمز عنه المحمود .

فالدعاء و الإنابة أولى بالخطاب . ألا ترى أن إمرء القيس في قوله بعد صفة من كان يهواها , **خاطبها :**

نصيح على تعذاله غير مؤتلى

الارب خصم فيك الوى رددته

لكي يستميلها بهذا القول .
 والزجر والتوبيخ أنسب وأسهل بالغيبة ، و الخطاب فيه أشد دلالة على شدة الغضب . و
 لما كان الزجر مما يتنفر عنه السامع يوتى به على وجوه :
 فربما يخاطب به غيره .
 و ربما يشار إليه بذكر قصة من شابه الموبخ .
 و ربما يخاطب به الجماعة .
 و مثال الأول قوله تعالى :

﴿ أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى ﴿٦﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ ﴾ (عبس 005-006)

و قوله تعالى :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ (المدثر 011)

إلى آخر السورة ، فخاطب النبي و مورد التوبيخ الكفار . و هذا كثير في القرآن أنظر سورة
 القيامة . أيضا ترى في قصة فرعون أن كلامه كان مع موسى عليه السلام و لكنه التفت إلى
 رجاله و ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الشعراء 027) ثم لما
 اشتد غضبه خاطب موسى و ﴿ قَالَ لَئِن آتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
 الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الشعراء 029)

و مثال الثاني كثير في القرآن على وجوه كثيرة و مثال الثالث قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا

الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١﴾ ﴾ (الانفطار 006)

وبعد هذا التمهيد ، ربما يصرف الخطاب إلى من هو مورد التوبيخ كما ترى في سورة
 البقرة خاطب بني اسرائيل بعد ذكر أحوالهم ، و ضرب الأمثال لهم و الخطاب العام و في كل
 ذلك إشارة إلى من سيجعل مخاطبا و هذا كثير في القرآن ، أنظر سورة الفجر .

الحذف

- (1) ذلك اسقاط الفضول عن القول . و الفضول ما يفهم الكلام بدونه و يتأثر منه السامع . فإن الغرض من الحديث ليس إلا الإفهام و التأثير ، فكلما زاد على هذين أذهل ، و أبعد ، و أثقل . و إذ أن المستمع على مراتب متفاوتة من الذكاء و التأثير ، اختلفت الألسنة في قدر الحذف فيها ، أما العرب فلذكائهم و توقد أذهانهم كان أنجح الأقوال عندهم ما قل وكفى . فإن كان الكلام لم يهذب عما لا يغني شيئاً ، سقط عندهم ومجه سمعهم . لظنهم بالمسهب أنه إما أحقق أو يحقق المستمع . فكان أمر الحذف في كلامهم من بعض سجاياهم و كأنهم طبعوا عليه فلذلك تراهم :
- (ألف) خلاف السنة الأمم . لم يشكلوا كلامهم إلا لأجل العجم و كذلك العبرانيون أخوانهم .
- (ب) و أسقطوا في التركيب من هيئة الحروف أكثرها ، فسبقوا كل أمة بخطهم البديع التركيب ، و بسطت القول على هذا الأمر المهم في باب على حدة .
- (ج) و جردوا الكلام عن الروابط كالإضافة ، و الخبر ، و التمييز ، و الظرفية و غيرها و هذه درجة عالية من إرتقاء اللسان ، و البحث المشبع عليه في باب على حدة .
- (د) و أخلصوا الكلام عما دلت عليه القرينة من الفعل ، و الجواب للشرط ، و القسم و استقصاء ذلك في النحو .
- (هـ) و أسقطوا من القصة و الحجة أجزاء و قضايا ، لا يكاد يحذفها غيرهم . فلذلك صعب على العجم درك حديثهم ، كما لا يدرك جسير القوم شاو حديثهم ، و البحث عنه في باب الایجاز و فيه فوائد جمة .
- (2) و إذا كان الحذف شائعا ، لا بد لنا من أن نعلم أساليبهم في الحذف ، لكي لا نخطئ في تقدير المحذوف ، فإن الذي نقدره ربما يغير معنى الكلام ، فاشتدت حاجتنا إلى طرقهم وهكذا الأمر في الزيادة . (أنظر باب الزيادة)
- (3) وكذلك ينبغي لنا أن نعلم الفوائد التي يدل الحذف عليها ، فإن لكل أسلوب فائدة و دلالة من وجوه شتى.....

مواقع الحذف

للحذف مواقع شتى :

فمنها : حذف الماضي المركب بالمضارع ، مثل يفعل في موضع كان يفعل و هذا كثير في كلام العرب . قال تعالى :

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ (أى كما كان يعبد)

ءَابَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ ۗ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ۗ نَصِيحُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٩﴾ (هود 109)

و قال تعالى في سورة الزخرف :

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ (أى ما كان يأتيتهم) مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا

بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ (الزخرف 006-007) و مثل قوله تعالى فى سورة الهود :

﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخْطِبَنِى فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ (أى جعل يصنع الفلك) وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۗ

قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ (هود 037-038) و مثله

قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ (أى كنا نرى ابراهيم عليه السلام) (الأنعام 075)

و منها : حذف الفعل بعد فعل مشابه ، اعتمادا على فهم المخاطب كما قال الشاعر :

و زججن الحواجب و العيوننا (أى و كحلن العيون)

و قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿٠٠٩﴾ (الحشر 009) أى اتخذوا

الايمان . و أيضا قال تعالى : ﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَّسَىٰ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَآ

وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ (النحل 015) أى أجرى فيها . و أيضا قال تعالى : ﴿

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٠٣٦﴾ (النساء 036) أى و أحسنوا . و

أَيْضًا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
 أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
 الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ (آل عمران 061) أي ندع أبناءنا و أنتم أبناءكم و نحن نساءنا و أنتم
 نساءكم و نحضر أنفسنا و أنتم أنفسكم ، ثم نبتهل نحن و أنتم . و غير ذلك .

و منها : حذف الجزاء . أنظر سورة الزمر و هذا كثير ، و عند ذكر الدليل أكثر كما قال
 تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء 127)

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا
 تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

7. if ye reject ((Allah)), truly Allah hath no need of you; but He liketh not ingratitude from His servants: if
 ye are grateful, He is pleased with you. no bearer of burdens can bear the burden of another. In the end, to
 your Lord is your return, when He will Tell you the truth of all that ye did (in This life). for He knoweth
 well all that is In (men's) hearts. (Soorah az-Zumar, 39: 7)

و منها : حذف الشرط و الجزاء معا ، إذا كان الشرط مفهوما كما قال تعالى : ﴿

أَيَّبَتُّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء 139)

أي ان يبتغوا العزة عندهم لن يجدوها . فإن العزة كلها بيد الله .

و منها : حذف ما ذكر مرة في جملة مشابهة ، على أصل عام في العطف ، فنقول جاء
 زيد و عمرو . و قال تعالى : ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ

مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٦﴾ (الأنفال 066) أي ألف
 صابر يغلبوا ألفين . و آخر الآية يدل على هذا التأويل و يؤيده .

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾

197. for Hajj are the months well known. if any one undertakes that duty therein, let there be no obscenity, nor wickedness, nor wrangling In the Hajj. and whatever good ye do, (be sure) Allah knoweth it. and take a provision (with you) for the journey, but the best of provisions is right conduct. so fear me, O ye that are wise. (Soorah al-Baqarah, 2: 197)

و منها : حذف جانبيين من المتقابلين لما دل عليه مقابله ، كما قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾ (النحل 112) أي أذاقها الله طعم الجوع و ألبسها لباس الخوف . و أيضا قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ (يونس 067) أي جعل الليل مظلمًا لتسكنوا فيه و النهار مبصرًا لتبتغوا فيه ، و أيضا قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (النبا 010-011) أي جعلنا الليل لباسًا و سكونًا و جعلنا النهار ضياءً و معاشًا .

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ رَبِّهِ وَاللَّهُ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ

أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ

جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ (التوبة 109)

Which then is best? He that lays his foundation on piety to Allah and His Good Pleasure? Or he that lays his foundation on an undermined sand cliff ready to crumble to pieces? And it does crumble to pieces with him, into the fire of Hell. And Allah guides not people that do wrong.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ



24. seest Thou not How Allah sets forth a parable? - a goodly word like a goodly tree, whose root is firmly fixed, and its branches (reach) to the heavens,- of its Lord. so Allah sets forth parables for men, In order that They may receive admonition. (Soorah Ibraaheem, 14: 24)

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

38. there is not an animal (That lives) on the earth, nor a being that flies on its wings, but (forms part of) communities like you. nothing have we omitted from the Book, and They (all) shall be gathered to their Lord In the end. (Soorah al An'aam, 6: 38)

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

134. if any one desires a reward In This life, In Allah's (gift) is the reward (Both) of This life and of the Hereafter: for Allah is He that hears and sees (All things). (Soorah an-Nisaa', 4: 134)

و من هذا قول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا----- ل النوك ممن عاش كدا

أي العيش (في الرفاهية) مع الحمق خير من العيش في الكد (مع العقل) فحذف الرفاهية من الجزء الأول و العقل من الجزء الثاني و أشار بذكر الضلال إلى الرفاهية .

و قال عمرو بن معدى كرب :

ليس الجمال بمنزر فاعلم وإن رديت بردا

أي ليس الجمال ببرد ومنزر ، فاعلم و إن رديت و اتزرت .

و منها : حذف لا قبل جواب القسم . قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

و الله اسمع ما حييت بهالك
 أي لا أسمع ما حييت . و قال امرء القيس :
 فقلت يمين الله أبرح قاعدا
 ولو قطعوا رأسي لديك و أوصالي
 أي لا أبرح قاعدا .

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾

85. They said: "By Allah. (never) wilt Thou cease to remember Joseph until Thou reach the Last extremity of illness, or until Thou die!" (Soorah Yusauf, 12: 85)

العود على البدء

إن لهذا الأسلوب أمثلة كثيرة في القرآن . فنذكر طرفا منها :

1- قال الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿١٤٠﴾ (البقرة 040) ثم

عاد اليه حيث قال : ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى

فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ (البقرة 122)

2- و هكذا قال تعالى في هذه السورة : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ

الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ

فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ (البقرة

238-239) فذكر في خاتمة الباب بالصلوة و الذكر , كما بدأ بها القسم العملي ,

حيث قال : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ ﴿١٥٢﴾ يَتَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴿
 (البقرة 152-153)

3- و هكذا جاء في أول سورة المؤمنون حيث قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ ﴾ ﴿١﴾ (المؤمنون 001-002) ثم قال في

خاتمة الجملة : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ﴿٤﴾ فبدأ بالصلوة و ختم
 بها .

4- مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

لِلْعِبَادِ ﴿٦﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدْبِرِينَ مَا

لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ

جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۗ

حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ تَجَدَّلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

أَتَتْهُمْ ۗ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ

الْأَسْبَابَ ﴿٦٨﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ

كَذِبًا ۚ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا

كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٦٩﴾ و هكذا جاء في سورة بني اسرائيل حيث

5- قال تعالى أولا : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخَذُولًا ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿ (الإسراء 022) ثم ختمه بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ

الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿ (الإسراء 039) فرجع عودا على بدء .

6- و هكذا جاء في أول سورة الحشر حيث قال تعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١﴾ (الحشر 001) ثم قال في آخر

السورة : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(الحشر 024) فعاد الى ما بدء به.

7- و هكذا جاء في أول سورة الممتحنة حيث قال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا

جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (الممتحنة 001) ثم قال في آخرها : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسَ الْكُفَّارُ

مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ ﴿١٣﴾ (الممتحنة 013)

8- و هكذا جاء في أول سورة المعارج حيث قال تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ

هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ (المعارج 022-023) ثم عاد على البدء و

قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ تَحْفَظُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ (المعارج 034)

و المقصود منه تنبيهه على أصل الأمر و أهمه . و هكذا في التوراة الباب العشرون

يبتدء بالأحكام العشرة . فبدأ بالتوحيد و ختم به .

التفصيل بعد الاجمال

التفصيل بعد الاجمال أسلوب عام في القرآن وكلام العرب وفي ذلك فوائد :
فمنها : أن الحكيم يعلم أن الكلام المحكم يحتوي على أمور غامضة ، فيفهم الغامض حيث لا تفصيل له .

و منها : أن قاصر الفهم يفهم ما لم يفهمه أولا ، و هذا يشبه تكرار القول .
و منها : أن المحكم خفيف ، فيستحضر به معان جملة في لمحة ، و في التفصيل يمضي المتقدم فيأتي المتأخر ، و المركب الممتزج أكثر لذة وأكبر حسنا .
و منها : تسهيل التعليم ، فإن المحكم يحتوي الكليات ، فيسهل العلم و العمل من وجوه ، لكونه بينا عند العقل ، و بديهي الحسن عند القلب وأخف ثقلا عند القبول ، فيسرعون إلى تحمله .
و منها : أنه كالبذر و الأصل ، فيقدم و يعدهم للتفصيل . كما قال تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ

أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١٠١﴾ (هود 001)

الاقتصار على بعض الشيء

الاقتصار على ذكر طرف من تمام الأمر لتصميم النظر ، ففرق أحوال الآخرة ، و لو ذكرها كلها في موضع واحد ، لم تنطبع في قلوبهم و من ذلك أنه تعالى يذكر حالا واحدا على وجوهه المختلفة ، مرة بالاجمال و مرة بالتفصيل و مرة على وجه و أخرى على وجه آخر.....

ذكر الأثر لما يخفى

و هو الدلالة على حقيقة المعنى بذكر الأثر لما يخفى ، مثلا : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ و هذا كثير . و كما قال تعالى فى نعت داؤد عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (ص 020) و كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي كَتَبْنَا لِآدَمَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿ (البقرة 002-003) فإن التقوى صفة باطنة ، و هي الاجتناب عما يضر ، فهي جامعة للعزم و الحزم ، فتحت على النظر فيحصل منه الايمان بما هو غير مشهود . ثم هذا الايمان أيضا صفة باطنة . و لكن من آمن بما دل عليه النظر . فعل حسب ذلك ، فلا بد أن يصلى و ينفق كما هو مبسوط في موضعه .

وجوه الوصل و الفصل

و على ذلك أساس النظم و عليه تدور رحي الكلام ، فمن لم يعرفهما رأى نظم الكلام مختلا و لم يفهم المراد ، و خفى عليه حسن النظام و بلاغته . و الآن نذكر وجوه الوصل و الفصل .

فاعلم أن الكلام في هيأته الظاهرة كالخط المستقيم ، يرد عليك بعضه بعد بعضه ، و لكنه من حيث المعنى ربما يكون ذا فصل :

إذا حذف من بينه بعض الأجزاء ، لوجوه ذكرناها في باب الحذف . و حينئذ لا يرى متصلا إلا بعد أن ينتبه السامع لما حذف . فيحضره في نفسه .

أو إذا أدخل بينه معنى آخر على سبيل الاعتراض ، لوجوه ذكرناها في باب الاعتراض . و حينئذ يرى النظم مختلا إلا إذا كان السامع ذكورا لمساق الكلام ، فيرجع إلى عموده .

أو إذا انتقل من معنى إلى معنى لمناسبة خفية ، ينتبه لها المخاطب الجدير بهذا الكلام . و بيان المناسبة يكون فضولا عنده و ذكرناها في باب الانتقال .

أو إذا صرف وجه الكلام من مخاطب إلى مخاطب ، و حينئذ يخطف بصر الغافل عن المعنى إلى صورته فيتحير ، و ذلك لأنه لا يتمسك من معنى الكلام إلا بعضه . و هذا يدخل في باب الالتفات ----

اختلاف الأساليب في العطف و غيره

كما ترى في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾
(الأنعام 055) و قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ (الأنعام 075) و قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ

أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى
وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ﴿٠٩٢﴾ (الأنعام 092) و قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ

التَّقَى الْجَمْعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ ﴿١٦٦-١٦٧﴾ (آل عمران 166-167) و ذلك ليدل به على ما هو

مقدر في المعطوف عليه . فكأنه قيل : و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات و الأرض
ليكون على علم . و هذا كتاب ليصدق الكتب السابقة . و ما أصابكم
يوم اللقاء فبإذن الله لكيلا تحزنوا .

و ربما يبدل الأسلوب في آيات من موضعين ، ليدل به على المقدر على وجه التفسير كما
قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾

(النساء 135) و في موضع آخر :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾

(المائدة 008) فالمراد في الأول كونوا قوامين لله بالقسط ، شهداء لله بالقسط ، وهكذا المراد في الثاني ، فسكت عن شئ ودل عليه . و بذلك بين أسلوب التعانق .

و من تبديل الأسلوب قوله تعالى في سورة يونس آية 76-77 : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (يونس 076-077) فقولهم : (إن هذا لسحرٌ مُّبِينٌ) فقولهم : (أَسِحْرٌ هَذَا) فاستفهام الإنكار كإثبات ما أنكر و الاستفهام يأتي للإثبات و النفي كليهما -----

الاعتراض

و هو كثير ، و على وجوه ، و له فوائد :

فمنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿ ١٥٨ ﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿ ١٥٩ ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿ ١٦٠ ﴾ (الصفات 158-160) فقولته تعالى : (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) اعتراض . أي أنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين .

و منه قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿ ١٨ ﴾ (الروم 017-018) ففي هذه الآية (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض .

و منه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿ ١٠٠ ﴾ (الأنعام 100) ففي هذه الآية (وَخَلَقَهُمْ) اعتراض .

و منه قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَرَبًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ۚ سُبْحٰنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (مريم 030-036) ففعله تعالى : (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) - إلى قوله تعالى - (كُنْ فَيَكُونُ) اعتراض ---

الاستفهام

الاستفهام أجمع للمعاني الانشائية ، يتضمن الاقرار من المخاطب بما نكارته ظاهره ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تُمْسِكُوهُمْ وَهُوَ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۗ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (البقرة 085) و من فوائده : التأكيد ، و الاقرار ، و التنبيه ، و الانكار و الزجر ، و الأمر ، و التحقير . فمن الأمر ما جاء من قوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (هود 014) و أيضا على تأويل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ

الرُّسُلِ إِلَّا إِنِّهِمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٥٢﴾ (الفرقان 020) و أيضا : ﴿ فَأَقْبَلَ

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ

﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ

فِرْعَاوَهُ فِي سَوَاءٍ أَلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ (الصافات 050-055) ففوله تعالى : (هَلْ أَنْتُمْ

مُطَّلِعُونَ) أمر . و كذلك في الأمثلة السابقة .

و من التحقير ما جاء : ﴿ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ (الصافات 052) و أيضا :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَاكَ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ (الصافات

085-086) و أيضا : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٢٥﴾ (الشعراء 025) ----

الشرط

الشرط يستعمل على وجوه و فيه دلالات جمّة :

فمنها : إلزام أمر بإقرار المخاطب ، مثلا قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ (المائدة 112) أي يلزمكم التقوى ، فإنكم مقرون بإيمانكم .

و منها : إظهار الإنكار من القائل ، مثلا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي
قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِعَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿البقرة 93﴾ (البقرة 093) أي لستم بمؤمنين ، فإن إيمانكم يأمركم بالسوء .

و هذا المثال يجمع الداليتين و تشد إحداهما الأخرى ، و فيه إشارات جمّة .
و من وجوه استعمال الشرط حذف الجزاء و ذكر الدليل ----- كما جاء في سورة آل
عمران آية : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (آل عمران
076) فحذف جواب الشرط و استغنى بذكر الدليل عن ذكر المدلول -----

الفصل بين المتصلين

القطع بين المتصلين بإدخال جزء آخر من أجزاء الكلام غير المعترضة كالقطع بإدخال الفاعل بين الموصوف و الصفة ، إذا كان الموصوف مفعولا مقدا و الصفة طويلة ، لكيلا يبعد الفاعل عن الفعل . و قد قدم المفعول لبعض أسباب التقديم كقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ

تَأْتِيَهُمُ الْمَلَايِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ

أَنْتَظِرُونَ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿ ١٥٨ ﴾ (الأنعام 158)

النفي

لاستعمال النفي وجوه :

فمنها : نفي اللازم للدلالة على نفي الملزوم ، فعلى هذا الأسلوب قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُؤَلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أُتْتَبُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (يونس 018) (لَا يَعْلَمُ) أي لا وجود له فان وجود الشيء يلزمه أن يكون معلوماً لله تعالى .

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَهْرِ أُمَّ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿٣٣﴾

Is then He (Allâh) Who takes charge (guards, maintains, provides) of every person and knows all that he has earned (like any other deities who know nothing)? Yet, they ascribe partners to Allâh. Say: "Name them! Is it that you will inform Him of something He knows not in the earth or is it (just) a show of false words." Nay! To those who disbelieved, their plotting is made fairseeming, and they have been hindered from the Right Path; and whom Allâh sends astray, for him there is no guide. (Soorah ar-Ra'd, 13: 33)

و منه قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ﴿٣٧﴾ (النور 037) فعند بعض المفسرين إن هذا وصف المتبتلين لذكر الله ، أي لا يباشرون التجارة والبيع بأنفسهم .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾

And fear a Day (of Judgment) when a person shall not avail another, nor will intercession be accepted from him nor will compensation be taken from him nor will they be helped. (Soorah al-Baqarah, 2: 48)

و منها : إرادة الإثبات لمخالف النفي ، مثل : (لا يحب) بمعنى يبغض و هذا كثير .

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

﴿ ١٣ ﴾

In order that you may not grieve at things that you fail to get, nor rejoice over that which has been given to you. And Allâh likes not prideful boasters. (Soorah al-Hadeed, 57: 23)

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

Allâh will destroy Ribâ (usury) and will give increase for Sadaqât (deeds of charity, alms, etc.) And Allâh likes not the disbelievers, sinners. (Soorah al-Baqarah, 2: 276)

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

Invoke your Lord with humility and in secret. He likes not the aggressors. (Soorah al-A'raaf, 7: 55)

و منها : نفي الفعل من جهة النتيجة ، و ذلك في الحقيقة من باب نفي الفعل بمعنى خاص

و هو أن يراد منه النتيجة مثلا : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَيْكَ اللَّهُ رَمِي ۚ ﴾ (الأنفال)

(017) و أيضا : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَيْكَ اللَّهُ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾ (الأنفال 017)

و منها : مبالغة النفي إذا دخل على المبالغة ، مثلا : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران 182)

و منها : يحتم النفي في المستقبل ، إذا دخل على كان و اسم فاعل . مثلا : ﴿ أُؤْتِيكَ

الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة

(016)

و مثله " ما كان ليفعل " مثلا : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا

وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

(يونس 013)

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١٧٩﴾
 وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ
 فَعَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾

Allâh will not leave the believers in the state in which you are now, until He distinguishes the wicked from the good. Nor will Allâh disclose to you the secrets of the Ghaib (unseen), but Allâh chooses of His Messengers whom He wills. So believe in Allâh and His Messengers. And if you believe and fear Allâh, then for you there is a great reward. (Soorah Aal 'Imraan, 3: 179)

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
 يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

And Allâh would not punish them while you (Muhammad (peace be upon him)) are amongst them, nor will He punish them while they seek (Allâh's) Forgiveness. (Soorah al-Anfaal, 8: 33)

﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
 كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۗ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾

Those were the towns whose story We relate unto you (O Muhammad (peace be upon him)) And there came indeed to them their Messengers with clear proofs, but they were not such as to believe in that which they had rejected before. Thus Allâh does seal up the hearts of the disbelievers (from every kind of religious guidance). (Soorah al-A'raaf, 7: 101)

و منها : نفي الوقوع و أحيانا نفي الجواز ، كما في قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ

مَعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ
 وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
 الْأَلْبَابِ ﴿١٨٢﴾ (البقرة 197) و منه قوله تعالى : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ فِطْرَتَ
 اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۗ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم 030) و عدم فهم هذا المعنى أورد كثيرا ممن ادعى

الاجتهاد مع الجهل بلسان العرب موارد سوء ، فاجتراء على تحريف القرآن من حيث لم يدرك --

التكرار

ربما يكرر اللفظ لبعده عما يتم الجملة التي صدرها ذلك اللفظ . مثاله قوله تعالى : ﴿

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَخُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ
لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿

(الواقعة 083-087) فكرر " لَوْلَا " لما قطع عن تمامه لاعتراض الجمل .

و أيضا : و هو شبيهه بتكرار اللفظ، و هو قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ

وَكُفِّرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتِنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ
لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾
وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنَّا وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴿ (النساء 155-161)

و أرى أن في هذا المثال حذفًا و تبديلاً . و المعنى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ،

فحذف ذكر اللعن و دل عليه قوله تعالى : فَلَا يُؤْمِنُونَ و أيضا قوله تعالى : حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ و موقع الكلام ينادي بما حذف من كل جانب -----

البدل

المجيء بالبدل في محل المبدل منه ، و نسبة الأمور التي تختص به إلى البدل أسلوب عام ، كنسبة الجزاء و اللقاه إلى الرب مع أن النسبة في الحقيقة إلى صفة العدل . و من هذا الباب : تسلسل الشياطين في شهر رمضان ، فههنا الشيطان بدل من صفاته . و مثله : " حفت الجنة بالمكاره " فالجنة بدل عن الأعمال الموصلة بالجنة . و منه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (يونس 003) و منه : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة 064) و هذان الأخيران نوع خاص . و لكن الأصل واحد -----

الوصف

وله وجوه : و من هذا قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (الفيل 005)

و منها : ربما يوتى بالوصف للاستدلال ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَلْنَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران 126)

و منها : ربما يأتي الوصف للقيد و التخصيص و-----

و منها : ربما يأتي للتأكيد.

و منها : ربما يأتي للبيان ، و هذا الفوائد من المدح و الذم .

و منها : استعمال الصفة المحض مكان الاسم ، كما قال تعالى : (ألا يعلم من خلق) أي

لا يعلم الله الذي خلق .

التنكير و التعريف

النكرة ربما يراد به الخاص الذي دل عليه سوق الكلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُدَّ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ ﴾ (الأنعام 084) و أيضا : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ
وَإِلْيَاسَ ۚ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الأنعام 085) و أيضا : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام 086) .

العطف بالواو

و له وجوه : فمنها : البيان ، مثلا : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا
مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة
086) " فجاهدوا " بيان " لآمنوا " و كذلك : " وقالوا ذرنا " بيان " لأستأذنك " .
و منها : ذكر النتيجة ، مثلا : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة 087) -----

الترديد

الترديد بكلمة (أو) قد يأتي للتقسيم ، مثلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (يونس 024) أى على بعضها ليلا و على بعضها نهارا .

و أيضا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ﴾ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (يونس 012) -----

التقديم و التأخير

و ذلك باب الترتيب .
فاعلم أن الترتيب يكون على أنحاء شتى ، و الشيء يقدم و يؤخر لوجوه ، و ليس أن المقدم أفضل في كل موضع ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر 032)

و ترى المفسرين كثيرا أنهم يقولون : هذا تقديم ما حقه التأخير .
و إني لا أحب هذا القول ، و كل موضع ذهبوا فيه إلى هذا القول ، لم أجد أمرا خلاف ما حقه -

التخليص

التخليصات في القرآن كثيرة . و أنظر فيما جاء في :

1- سورة المؤمنون : (آية 22- 23) ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ (المؤمنون 022-023)

2- و سورة الأنبياء آية (31) ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ (الأنبياء 031)

3- و سورة النحل آية (5 - 9) ﴿ وَاللَّائِمَةَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۗ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۗ وَخَلَقُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ (النحل 005-009)

4- و سورة النحل آية (14 - 16) ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ (لما في بطنها من قوة النار) وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (أي تهتدون إلى ذكر رحمته وربوبيته ووحدانيته كما قال : ولعلكم
تَشْكُرُونَ) ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْتِ سُبُلًا وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أي كما أنه تعالى جعل لهم علامات
في الأرض وسبلا، فكذاك جعل لهم علامات في السماء ، فكلمة " تهتدون " تخلص من الباطن
إلى الظاهر و موقعها عجيب بعد قوله : (سبلا) و كذلك موقع " سبلا " بعد " أنهارا " فان
الأنهار أيضا سبل .

و هكذا في سورة الزخرف آية (9 - 14) ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا
بِهِ بَلَدًا مِّيتًا كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا
أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴿ فبين ههنا إذا ركبنا الفلك و الأنعام ، ينبغي لنا أن نذكر نعمة ربنا
بأنه تعالى سخر لنا هذا ، و انا عليها بعد الأسفار منقلبون إلى أوطاننا فكذاك منقلبون إلى مولنا
الحق -----

التعميم و التخصيص

و فيه بيان نسبة الفعل بصيغة الجمع إلى المجموع من حيث المجموع .

ربما يجعلون العام ، أعم مما هو المراد مثلا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ

﴿ ٢٣ ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿ ٢٤ ﴾ ﴾ (النجم 003-004) فالنطق المراد ههنا هو النطق بما

أوحى إليه من الكتاب و هذا كثير في القرآن .

و من هذا الباب نسبة الفعل بصيغة الجمع إلى المجموع من حيث هو مجموع ، فلا ينسب

إلى كل فرد ، فرد. مثلا قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

﴿ ١١٠ ﴾ ﴾ (آل عمران 110)

فزعم البعض أن الأمر بالمعروف واجب على كل فرد من هذه الأمة ، وعلى هذا أخطأ

في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ ١٠٤ ﴾ ﴾ (آل عمران 104) فزعم أن " منكم " ،

ليس للتبعيض فتمسك بالنادر و ترك الكثير الشائع . فإن بعد هذه الآية بقرب منها جاء قوله تعالى

: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ ﴿ ١١٣ ﴾ ﴾ (آل عمران 113) فليس المعنى أن أهل الكتاب كلهم هكذا -----

اختلاف الصلة و الفعل

و هو أن تأتي بصلة للفعل على خلاف معناه ، و ذلك بأن تضمير مع الفعل فعلا آخر و

تدل بالصلة حسب هذا الفعل المضمير ، كما تقول : قمت اليه - أى قمت و مشيت اليه . و أيضا

كما تقول : دخلت بيته و قمت عليه فعلى هذا يجيء كثيرا فى كلامهم . مثلا : "سل اللهم عنك "

أى سل نفسك و ادفع اللهم عنك -----

المقابلة و التفصيل

من الأساليب الكثيرة الوقوع فى القرآن , المقابلة و التفصيل . مثلا فى المقابلة قال تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّمُتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام 001) و هذا النمط كثير . و كذلك التفصيل مثلا قال تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۗ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر 024) فالبرأ و التصوير تفصيل للخلق من جهة المعنى الجامع للخلق . و أيضاً تفصيل كله من جهة المعنى الأولى للخلق و هو التقدير , فالتقدير أول الأمر , ثم يكون البرء , ثم يكون التصوير ..

و بعد ما علمت ذلك , فاعلم أن من المقابلة ما هو خفى مثلا : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (التغابن 003) فقله :

(وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) مقابل لقله : (خَلَقَ) فان الخلق هو البداية و الخروج , و المصير هو الرجوع . و كذلك من التفصيل ما هو خفى . و هو كثير . مثلا : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التغابن 001) فالملك ربما بالظلم و التعشم , و ربما يكون بالرحمة , و انما يحمد ما يكون بالرحمة . و كذلك ربما يكون الملك بقوة الأعيان , فبين أن ملكه بالرحمة و القدرة المحيطة , فلا شريك له -----

اختلاف الوضاحة على التقابل

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم 007) فيه اسلوب اختيار الوضاحة على التقابل فلم يقل : "و هم عن الباطن هم غافلون " و بهذا دل على أن باطن الحياة الدنيا من قسم الآخرة , و الدليل عليه قوله تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَهْرًا) و منه يفهم معنى قوله تعالى : ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالَّذِينَ نَعِمَ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ ﴾ الأعراف (179) أى يعلمون الظاهر المحسوس و لا يعلمون الأصل الذى تحته , كأهل الحشو و اللهو , فيرون و لا يرون - - - - -

تضمن القول دليله

و من الأساليب الكثيرة الوقوع , تضمن القول دليله . و هذا أكثر الأساليب وقوعاً و
الطفها . مثلاً قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ
الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (البقرة 021-022)
فقوله تعالى : (أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ) يتضمن الدليل الواضح . فان العبد ان لم يعبد ربه فمن ذا الذى
يعبده ؟

ثم بعد ذلك لم يذكر من صفات الرب الا ما هو دليل كونه منفرداً فى استحقاق العبادة , و
لذلك فرع عليه قوله : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) و هذا الأسلوب أكثر من أن
تحصى , وهو مفتاح حسن النظام و الحكمة و سلم التدبير . - - - - - .

على سبيل المشاكلة

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۗ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

Forthwith he (starts) constructing the Ark: every time that the Chiefs of his People passed by him, they threw ridicule on him. He said: "If ye ridicule us now, we (in our turn) can look down on you with ridicule likewise! (*Soorah Hood*, 11: 38)

﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۗ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

And fight them on until there is no more tumult or oppression, and there prevail justice and faith in Allah; but if they cease, let there be no hostility except to those who practise oppression. (*Soorah al-Baqarah*, 2: 193)

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

The prohibited month, for the prohibited month, and so for all things prohibited, there is the law of equality. If then any one transgresses the prohibition against you, transgress ye likewise against him. But fear Allah, and know that Allah is with those who restrain themselves. (*Soorah al-Baqarah*, 2: 194)

﴿ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

The recompense for an injury is an injury equal thereto (in degree): but if a person forgives and makes reconciliation, his reward is due from Allah: for (Allah) loveth not those who do wrong. (*Soorah ash-Shoora*, 42: 40)

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

And (then Unbelievers) plotted and planned, and Allah too planned, and the best of planners is Allah. (*Soorah Aal 'Imraan*, 3: 54)

التصريف

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۗ ﴾ ﴿٦٥﴾

Say: "He hath power to send calamities on you, from above and below, or to cover you with confusion in party strife, giving you a taste of mutual vengeance, each from the other." See how We explain the Signs by various (symbols); that they may understand. (Soorah al-An'aam, 6L 65)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۗ ﴾ ﴿٤٦﴾

Say: "Think ye, if Allah took away your hearing and your sight, and sealed up your hearts, who - a god other than Allah - could restore them to you?" See how We explain the Signs by various (symbols); yet they turn aside. (Soorah al-An'aam, 6: 46)

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّدِيرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرِيقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمَلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ ﴾

By the (Winds) Sent Forth one after another (to man's profit); Which then blow violently in tempestuous Gusts, And scatter (things) far and wide; Then separate them, one from another, Then spread abroad a Message, Whether of Justification or of Warning; Assuredly, what ye are promised must come to pass. (Soorah al-Mursalaat, 77: 1-7)

الحال

﴿ إِنْ نَشَاءُ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۗ ﴾ ﴿٤٤﴾

If (such) were Our Will, We could send down to them from the sky a Sign, to which they would bend their necks in humility. (Soorah ash-Shu'araa', 26: 4)

﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۗ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۗ ﴾ ﴿٤٤﴾

The Day when the Earth will be rent asunder, from (men) hurrying out: that will be a gathering together; quite easy for Us. (Soorah Qaaf, 50: 44)

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ تَرْمِيهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾

And He sent against them flights of Birds, Striking them with stones of baked clay. (Soorah al-Feel, 105: 3-4)

التكميل (الاحتراس)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي
 اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى
 الْكَافِرِينَ ﴾

O ye who believe! if any from among you turn back from his Faith, soon will Allah produce a people whom He will love as they will love Him, lowly with the Believers, mighty against the Rejecters. (*Soorah al-Maa'idah*, 5: 54)

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

Muhammad is the Messenger of Allah; and those who are with him are strong against Unbelievers, (but) compassionate amongst each other. (*Soorah al-Fath*, 48: 29)

﴿ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴾

“Now draw thy hand close to thy side: it shall come forth white (and shining), without harm (or stain), - as another Sign, - (*Soorah Taa Haa*, 20: 22)

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطَمَنَّكُمْ

سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ ۗ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

At length, when they came to a (lowly) valley of ants, one of the ants said: “O ye ants, get into your habitations, lest Solomon and his hosts crush you (under foot) without knowing it.” (*Soora an-Naml*, 27: 18)

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

When the Hypocrites come to thee, they say, “We bear witness that thou art indeed the Messenger of Allah.” Yea, Allah knoweth that thou art indeed His Messenger, and Allah beareth witness that the Hypocrites are indeed liars. (*Soorah al-Munaafiqoon*, 63: 1)

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ رَاجِرٌ عَظِيمٌ ﴾

Your riches and your children may be but a trial: but in the Presence of Allah is the highest Reward. (*Soorah at-Taghaabun*, 64: 15)

القيد بالنهاي

﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾

And believe in what I reveal, confirming the revelation which is with you, and be not the first to reject Faith therein, nor sell My Signs for a small price; and fear Me, and Me alone. (*Soorah al-Baqarah*, 2: 41)

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

(Charity is) for those in need, who, in Allah's cause are restricted (from travel), and cannot move about in the land, seeking (for trade or work): the ignorant man thinks, because of their modesty, that they are free from want. Thou shalt know them by their (unfailing) mark: they beg not importunately from all and sundry, and whatever of good ye give, be assured Allah knoweth it well. (*Soorah al-Baqarah*, 2: 273)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أضعفًا مُضعفَةً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

O ye who believe! devour not Usury, doubled and multiplied; but fear Allah; that ye may (really) prosper. (*Soorah Aal 'Imraa*, 3: 130)

﴿ وَلَيْسَتَعَفُّفِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ

الَّذِي ءَاتَكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ
 الدُّنْيَا ۚ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾

Let those who find not the wherewithal for marriage keep themselves chaste, until Allah gives them means out of His grace. And if any of your slaves ask for a deed in writing (to enable them to earn their freedom for a certain sum), give them such a deed if ye know any good in them; yea, give them something yourselves out of the means which Allah has given to you. But force not your maids to prostitution when they desire chastity, in order that ye may make a gain in the goods of this life. But if anyone compels them, yet, after such compulsion, is Allah Oft-Forgiving, Most Merciful (to them). (Soorah an-Noor, 24: 33)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾



Kill not your children for fear of want: We shall provide sustenance for them as well as for you. Verily the killing of them is a great sin. (Soorah al-Israa', 17: 31)

أصول التأويل

قد جعل العلماء طرفا من أصول التأويل جزءا لأصول الفقه أى فروع الشرائع. فلكونه جزءا صار غير مستقل , و لم يعط من الامعان و الاتمام ما يعطى لفن مستقل. ثم لكونه مستعملا للفروع , لم يعط من التيقظ والاحتياط ما يعطى لأصول الدين . ومعلوم أن الاختلاف فى فروع المسائل هيّن فهان أمره. و كذلك لكونه مشتركا بين الكتاب والسنة لم يختصّ بما هو أهله. فلو جعل هذا الفنّ من علم التفسير لعظم محلّه فى الدين , و لأفرغ له الجهد التامّ و الاحتياط من الآراء الضعيفة .

وبالجملة فادخال أصول التأويل فى أصول الفقه بمعنى علم المسائل الفرعية حط علم التأويل عن محله بثلاث مراتب :

الأولى أنه كان حريا بالبحث المستقل , فصار له شركاء فصار مغمورا فيها.
والثانية انه كان معظم علم التفسير لكونه أصولا لفهم القرآن , واذ جعل من علم الفروع لم يبالغ فى تنقيحه حتى يصير لعلم التأويل كالمعيار والميزان , مثل علم النحو والعروض . فما بلغ مبلغ الفن المنقح , بل كان قصاره أن يكون أصولا شخصية مثل قوانين الأمم المختلفة.
والثالثة أن القرآن ليس مقصورا على الفروع بل معظمه يتعلق بالعقائد وبواطن الأخلاق . واذ جعل من أصول الفقه صار مقصورا عليه.

نتائج جعل علم التأويل مقصورا على الفقه

لا يخفى أن الدين معظمه ترقية النفوس وتربية العقول واصلاح الأعمال الظاهرة أى الأخلاق والعقائد والشرائع . والقرآن قد تكفل كل ذلك بأحسن ما يكون . وكل ذلك متصل بعضها ببعض , وبجميعها تحصل التزكية وهى الغاية المطلوب.

ولهذه الثلاث نشأت ثلاثة علوم : علم الأخلاق والمواعظ , وعلم الكلام , وعلم الفقه . واذ جعل علم التأويل مقصورا على الفقه , بقى علم الأخلاق والكلام فارغين عنه فلا تجده مستعملا فيهما .

أما علم الأخلاق , فاتسع بأهله حتى تشبثوا بكل ما راقهم وأعجبهم . فمنهم من بينه على الحكمة التى تلقوها من الفلاسفة , ومنهم من يعتمد على تجاربه . ومنهم من بينه على الروايات الضعيفة . وربما يأخذون من القرآن حسب تأويلاتهم الركيكة . وذلك لظنهم بأنه لا حاجة الى صحة الاستدلال فى الترغيب والترهيب ومدح الحسن وذم القبيح.

ومنهم طائفة المتصوفة تكلموا فى العقائد يأولون القرآن الى ظنونهم لجهلهم بالعربية وبحقيقة هذا الدين . و يزعمون أنهم أعرف بالقرآن وأسراره وتجد أمثلة ذلك فى كلام ابن العربى.

و أما علم الكلام فأصحابهم , لاشتغالهم بالملاحظة , قل اعتمادهم على النقل وكان معظم احتجاجهم بما يجنح اليه العقول لكى يسلمه الخصم وربما يأولون القرآن الى غير مراده فرارا عن اعتراضات المعاند , اذ لم يهتدوا لصحيح التأويل وتطبيق المعقول بالمنقول , جعلوا للتأويل أبوابا يخرجون منها حين لم يمكنهم الدفاع على وجه مستقيم , حتى قال بعضهم كالرازى عفا الله عنه انه لا اعتماد على ظاهر القرآن لعله يكون من المتشابهات . فجعل القرآن كله ملتبسا , ولم يكن ذلك الا لعدم تأسيس أصول التأويل العامة التى يعتمد عليها فى كل ما يستنبط من القرآن , سواء كان من فروع الشرائع أو الأخلاق والعقائد.

فان جعلت القرآن أصلا لتنمى علم الدين , كما هو فى الحقيقة , صار من الواجب أن يؤسس أصول للتأويل , بحيث تكون علما عاما لكل ما يؤخذ من القرآن.

المنع عن التفسير بالرأى

قد حذر العلماء قديما عن التفسير بالرأى , ولكنهم لم يبيّنوا كل البيان ما هو المراد من التفسير بالرأى ؟ واذ كان المروى فى ذلك عن النبى μ قليلا جدا ولم يكثر فيه ما روى عن الصحابة , فأضافوا به ما روى عن التابعين أو تبعهم مع اختلاف الأقاويل بينهم وعلى هذا صنّف ابن جرير , رحمه الله , تفسيره وهو أحسن التفاسير حتى قيل انه لم يصنّف مثله .

والقرآن قد تضمّن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به الا الله تعالى , و قد حث القرآن نفسه على التفكير والتدبّر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنها الآيات ولم يجدوها فيما روى عن السلف فذكروها فى تفاسيرهم , وأكبر التفاسير المتداولة التى كتبت على هذا الطريق ما ألفه الامام الرازى رحمه الله .

وكلاهما متلقى بالقبول بين المسلمين عامّة . مع اتفاق العلماء على أن كليهما يحتوي على الغث والسمين , ولا بد للناظر فيهما من النقد والامعان .

ان الصحابة والتابعين , رضى الله عنهم , اختلفوا كثيرا فى التأويل مع تقارب خطاهم . انهم أخذوا تأويلاتهم عن علمهم باللسان , واقتصرهم على علمهم بنظائر الآيات , وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطيها الله عباده ولذلك ترى أنهم يتقاربون فى المأل . وبالجملة فانهم لم يأولو القرآن بالرأى المذموم الذى لا مستند له فى الكتاب والسنة ولسان العرب .

ان السلف اختلفوا فى تأويل القرآن كثيرا , لكونه جامعا لوجوه كثيرة ولكونهم متفاوتين فى مدارج العقول . وهذا كما اختلفوا فى الفتاوى ولكنهم مع ذلك اعتمدوا على أصول راسخة للتأويل فلم يعتمدوا على الرأى المحض وهوى النفس .

ومن قال ان التفسير الذى لم يكن منقولا عن السلف فهو التفسير بالرأى , فمحمول على أن من ترك المنقول أو شك أن يقع فى أوهامه فيرى الباطل معقولا كما قالوا فيمن لم يتقاد السلف فى الفتاوى وركب رأسه فلا يؤمن ابعاده عن حادة الشريعة كل الابعاد . وكذلك محمول على أخذ ما يحتاج اليه فى علم أسباب النزول ومواقعه . فلا بد أن يؤخذ من النقل مع التنقيح والاختيار بما صح وثبت . ولا يحمل ذلك على ترك النظر فى دلالة القرآن وحمل الآية على نظائرها , والجمود على المنقول المحض , وعدم الفرق بين صحيحه وسقيمه , وتسويته فى الاعتماد . ينظر فيما نقل من السلف للتأييد عند الموافقة و رجع النظر عند المخالفة حتى يطمئن القلب بما يفهم من الكلام فانه أوثق و أبعد عن الخطأ ولذلك قال علماء التفسير ان أحسن التفسير ما كان بالقرآن .

لما رأى أهل السنة أن أهل البدعة والباطل جعلوا يأولون القرآن بالهوى ويحملون النصوص على غير مرادها , تخرجوا الاشتغال بالأقاويل فى التفسير الا ما روى عن الصحابة والتابعين . ولا شك أنهم لم يريدوا بذلك الا سدا لأبواب الفتنة . وكان ذلك هو الطريق . فان التأويل اذا لم يؤسس على قواعد التى تكون فارقة بين الحق والباطل , لم يمنع عن القول بالرأى المحض .

وأما الصحابة و التابعون فأولوا القرآن بالعلم والنظر الصحيح , فان تصفحنا الأصول التى جروا عليها , كانت لنا أسوة حسنة فى تدبر كتاب الله . وقد جمع أهل التأويل نبذا من أقوالهم , ولكنهم لم يجمعوا أصول تدبرهم والحاجة الى ذلك شديدة . فان الله أوجب التفكير فى كتابه بصريح القول فى غير ما آية . وقد حث النبى μ على ذلك , وعلمهم النظر والاستنباط وكان ذلك مما فرض الله عليه.

وإذا غلب على أكثر الناس أن القول بما لم يرو عن السلف هو القول بالرأى , فصار ذلك مانعا عن التفكير والتدبر , احتجنا الى بيان الفرق بين القول بالرأى المنهى عنه وبين طريق السلف الذين تفكروا وتدبروا فى القرآن . والى بيان الحاجة الشديدة الى استعمال الفكر والتدبر فى كتاب الله .

دلائل وجوب التدبر فى كتاب الله

- (1) ان الله تعالى أمر به فى غير ما آية أمرا صريحا .
- (2) بين مواضع التدبر والاستدلال ولم يبين ما يكشف بعد التدبر .
- (3) بعث النبى عليه الصلوة والسلام معلما للحكمة كما بعثه معلما للشرائع وقد علمها وحث عليها وهدى الى طرقها . فلنذكر ذلك بشىء من التفصيل :

(الف) فمنها أنه كان يلقى المسئلة اليهم لكى يستنبطوا : عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُؤَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ .

(Saheeh al-Bukhaaree, 59 CD)

(ب) ومنها انه عليه السلام نهى عن السؤال لكى يستعملوا النظر والفكر مع مصالح أخر :

عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَمَّا نَهَيْنَا أَنْ نَبْتَدِئَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَقْدَمَ الْبَدَوِيُّ وَالْأَعْرَابِيُّ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحْنُ عِنْدَهُ

(Sunan ad-Daarimee, 648 CD)

(ج) كان الصحابة يتسائلون فيما بينهم عن معانى القرآن ويعملون فيها الفكر .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء 082)

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد 024)

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون 068)

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص 029)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا

(Sunan Ibn Maajah, 4159 CD)

الأصول للتأويل

التمسك بنظم الكلام وسياقه :

ان الكلام لا يحتمل معنى يخالف نظمه ورباط معانيه . فان خلل النظم منفى عن كلام العقلاء ,
فما أبعد عن كلام الله المعجز ؟

المعنى الشاذ لا يلتفت اليه :

ان اللفظ اذا استعمل لا بد أن يدل على مفهومه المعلوم الثابت . فان أريد به مفهوم ينكره الناس
ويدعيه مدع ولا سبيل الى اثباته فهذا تعمية . والقرآن أنزله الله عربيا مبينا فلأى شىء يترك
المعنى الأفصح ؟

فهم الكلام بعضه من بعض وحمل النظر على النظر :

وذلك هو التأويل بالقرآن . القرآن كثيرا ما يترك مجملا ما فصله فى مقام آخر . والمعنى يفهم
من غير أن نحتاج الى تفصيله من نفس الكلام . مثلا فى أواخر سورة الأنفال جاء :

﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وبعد ذلك جاء :

﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فلم يذكر بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وهو مفهوم . ثم جاء بعد ذلك :

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ

فلم يذكر فى سَبِيلِ اللَّهِ ولا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ولكن ذلك مفهوم , وقد دل عليه مَعَكُمْ .

(الأنفال 072-075)

وهذا باب وسيع يهدى الى كثير من المعانى . مثلا جاء فى أوائل سورة البقرة : ﴿٦﴾ إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ (البقرة

007-006) ففهمنا من الَّذِينَ كَفَرُوا من كفر بالله وصفاته من العدل , ولذلك كفر بالجزاء

. و فهمنا من لَا يُؤْمِنُونَ أنهم لا يصيرون مؤمنين ومهتدين بهذا لكتاب . وذلك مما سبق من

قوله تعالى : ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

(أى يؤمنون قبل يوم الشهود) فالذين كفروا هم ضد هؤلاء . وقد ذكر عيون صفات المؤمنين فيما

سبق حتى قال : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٥﴾

(البقرة 005) ثم ذكر الذين هم مخالفون لهؤلاء .

الأخذ بأحسن الوجوه :

المراد بأحسن الوجوه ما كان أولى بمعالي الأمور , مكارم الأخلاق , وأوضح الى القلوب , وأوفق
بمحكمات القرآن , وأحسن ظنا بالله ورسوله , وأظهر بيانا من جهة العربية .

الأخذ بأحسن الوجوه ليس من التفسير بالرأى , اذا كان مراعىا لأصول التأويل . هذا ابن جرير
رحمه الله مع اعتنائه بالروايات يأخذ بما يراه أحسن تأويلا .

الأخذ بأثبت الوجوه لغة :

بمثل الأخذ بأحسن الوجوه , يكون الأخذ بأثبتها فى اللغة . فان المعنى الذى كثر فى كلام العرب
لا ينبغى تركه الا لصارف قوى . فاذا تساوى الوجه الآخر وهو النظم , والموافقة بباقي القرآن ,
وصريح العقائد , لا بد أن نأخذ المعنى الشائع ومثاله معنى الشوى , فانه لحم الساق عموما فى
كلام العرب.

فقد أخطأ العلامة عبد القادر الدهلوى فى ترجمة قوله تعالى : نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ فَظَنَ أَنَّهُ

الكبد . والموقع ذكر دنو العذاب , لا دخول المنكرين فى النار . فان سياق الكلام هكذا :

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ ﴿٦﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٧﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٨﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٩﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿١١﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّهِلِ ﴿١٣﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٤﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٥﴾ يُبْصَرُونَهُمْ ۚ يَوْمَ الْمَجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١٦﴾ وَصَحْبَتِهِ ۚ وَأَخِيهِ ﴿١٧﴾ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تَعْوِيهِ ﴿١٨﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيمًا ثُمَّ يُنَجِّهِ ﴿١٩﴾ كَلَّا ۚ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿٢٠﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ﴿٢١﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢٢﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المعارج 001-018)

فهذا بيان الموقف ، يوم أزلت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين فليس لهم حميم .
فحينئذ تدعو الجحيم الكفار وتخرج لها فتذهب بلحم سوقهم .

وأما انها تخرج أكبادهم فليس هذا مما جاء فى شيء من القرآن حتى انهم حين يدخلونها لا تخرج أكبادهم ولا قلوبهم .

ومن أمثلته وَأَخْرَجَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْرَجَ ﴾ ﴿٢٢﴾ فقالوا : أمر بوضع اليد على النحر وأيضا قالوا : أمر برفع اليدين . ومناسبة ذلك لا يغرن أحدا ، فان الأمر بالأضحية أحسن مناسبة و أوسع .

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُؤْتُوا الْأَلْبَابَ ﴾ ﴿١٨﴾ (الزمر 018)

وقال تعالى أيضا :

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ (الإسراء 035)

ان اختيار أحسن الوجوه لابد أن يكون موافقة للغة وياقى القرآن , ولا يكون من التكلف .

مثلا قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ (آل عمران 164)

قيل فيه أن (أنفسهم) بفتح الفاء وهذا تأويل باطل . لكونه معنى شاذا لأن كتب الله ناطقة بكون

الرسول من قومه . وهو أمر ظاهر . ولا عيب فى كون النبى من قومه وهو منهم .

ثم ليس ذلك من كلام العرب , هم يقولون : هو من خيارهم وعلياهم وغير ذلك ولا

يقولون من "أنفسهم" بفتح الفاء . ثم المنّة تكون أكبر اذا بعثه منهم . ثم فى دعاء ابراهيم عليه

السلام هو أن يبعثه الله منهم .